HNSJ Humanitarian & Natural Sciences Journal
ISSN: (e) 2709-0833
www.hnjournal.net
مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية
مجلة علمية محكمة
معامل التأثير العربي للعام 2020م = 0.44

عنوان البحث

الأمراض المنتشرة في فزان من خلال كتابات الرحالة جوستاف ناختيجال (1869- 1870م)

د. علي أحمد الدوماني[1]

[1] كلية الآداب والعلوم مسلاته/ جامعة المرقب/ ليبيا

بريد الكتروني: aa24083@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/06/01م تاريخ القبول: 2021/05/26م

المستخلص

تناولت هذه الدراسة الأوضاع الصحية في ليبيا خلال القرن التاسع عشر الميلادي، الامراض التي كانت منتشرة في البلاد من خلال كتابات الرحالة "جوستاف ناختيجال" وعدم اهتمام المسؤولين العثمانيين بالمرافق الصحية، وهو ما دفع بالأهالي طيلة ذلك العصر ليعالجوا امراضهم عند العطارين وادعياء الطب، وكان في اغلب مناطق البلاد الطب الشعبي هو المتداول بين الأهالي وقدم الكثير من العلاجات الشعبية مثل الكي بالنار والحجامة وجبر الكسور والرمد.

اما التداوي بالأعشاب واستعمال النباتات الطبية في علاج العديد من الامراض من خلال وصفات يعدها بعض الأشخاص ممن مارسوا مهنة اعداد العقاقير وتحضير أنواع من العصارات والاشربة ليتناولها المرضى. لان العثمانيون لم يحركوا ساكنا حيال مكافحة الامراض والتقليل من انتشارها ولم يهتموا بالصحة العامة الا في أواخر حكمهم واقتصر على المدن الكبرى كطرابلس وبنغازي والخمس التي شهدت عدد قليل من المستشفيات والمستوصفات تقدم بعض الإجراءات الوقائية بينما تواصلت سياسة اللامبالاة في الأمور الصحية في كافة مناطق البلاد الأخرى، تاركين الناس فيها يداوون مرضاهم بما تعلموه او توارثوه عن الأجداد من طب وعلاج.

RESEARCH ARTICLE

DISEASES SPREAD IN FEZZAN THROUGH THE WRITINGS OF THE TRAVELER GUSTAV NACHTIGAL (1869-1870 AD)

Dr. Ali Ahmad Al-Doumani [1]

[1] Faculty of Arts and Sciences Masallatah / University Marqab / Libya
Email: aa24083@gmail.com

Published at 01/06/2021 **Accepted at 26/05/2021**

Abstract

This study dealt with the health conditions in Libya in the 19th century AD and diseases that were prevalent in the country as mentioned in the writings of the explorer Gustav Nachtigall Besides on Ottoman officials were neglecting health institutions, which led the people during that era to treat their diseases at the spice dealers and at those who pretend to be physicians. In most areas of the country, traditional medicine was common among people, it has provided many popular treatments such as moxibustion, cupping, daiplasis and treatment of ophthalmia. Herbal medicine and the use of natural plants in treating many diseases using recipes prepared by some people who have practiced the job of preparing drugs ,types of juices and drinks of patient .

The Ottomans did not take a stand against disease control and reduce its spread. They were concerned with public health only during the end of their rule in some major cities such as Tripoli, Benghazi, Al-kums, where small number of hospitals and clinics were founded. However, the policy of negligence towards health issue condition in all other parts of the country, leaving people treat their patients using traditional medicine that they learned or inherited from their forefathers.

المقدمة:

شكل الوضع الصحي في ليبيا خلال القرن التاسع عشر الميلادي واقعاً مترديا محزناً، بسبب ما عاناه الأهالي من أمراض عديدة فتكت بأعداد هائلة من السكان، في وقت افتقرت فيه البلاد لأبسط الشروط الصحية، سواء في نقص الدواء والأطباء، وعدم اهتمام المسؤولين بالمرافق الصحية، وهو ما دفع الأهالي طيلة ذلك العصر يعالجون أمراضهم عند العطارين و أدعياء الطب والأدعية والأحجية والكي بالنار، فمثلاً تجد في أغلب مناطق البلاد العلاج الشعبي هو السائد، لمختلف الأمراض وبخاصة في عموم فزان فقد كان العديد من الأمراض يعالج بطرق بدائية فمثلاً كانت بعض الأمراض التناسلية كالزهري تعالج بالملح والحنظل، فيما كانت أمراض آخري مثل الحمى والملاريا تعالج بالتمائم[1].

ولم يختلف الآمر كثيراً في مرزق إذ كان الكي بالنار علاجاً لأمراض الكبد والطحال والربو والسيلان، فيما كانت التعاويذ تستخدم للحمى والشلل [2].

وهذه الأمراض كانت تحصد سنوياً العشرات من الأطفال والكبار، ولم تتحرك السلطة الحاكمة لاهتمام بالصحة العامة إلا في أواخر حكمهم واقتصر على بعض المدن الكبرى فقط تاركين الناس فيها يداوون مرضاهم بما تعلموه من التجربة أو بما توارثوه من مئات السنين [3].

رغم أهمية هذا الموضـوع، إلا أنه لم يحظى بالتوثيق الكافي وهـذا ما شكل الصـعوبة

الكبرى في إعطاء صورة شاملة بكامل الأوضاع الصحية خلال هذه الحقبة فإن وجدت معلومات فهيا شحيحة ولا تتعدى الأسطر بين دفات الكتب، وإن وردت معلومات فهيا بمثابة إشارات بسيطة باستثناء ما ذكره الرحالة العرب والأجانب من معلومات وإشارات عن الأحوال الصحية للولاية والتي شكلت لنا القاعدة التي انطلقنا منها لتوثيق معلومات صحية.

ودارس التاريخ الليبي الحديث خلال القرن التاسع عشر يجد عدد لا يستهان به من مؤلفات الرحالين الأوربيين الذين قصدوا البلاد للتوجه إلى مناطقها المختلفة ساحلها وداخلها، أو الانطلاق منها إلى البلدان الواقعة ما وراء الصحراء، وبذلك احتوت كتبهم على معلومات هامة عن المناطق التي وصلوا إليها، وبخاصة الدراسات التي قُدمت من بعض الأطباء الباحثين اللذين يحاولون تتبع الأمراض في ليبيا[4]، وقد برز في هذا المجال الرحالون الألمان إذ بلغ عددهم خمسة عشر رحالة، والبعض منهم زار اكثر من مرة مثل بارت ورولفس، وكان بين هؤلاء ثلاثة من الأطباء أو يتعاطون الطب وهم غيرهارد رولفس، جوستاف ناختيجال، وارفين قون بارى.

(1) رجب نصير الأبيض: طرابلس الغرب في كتابات الرحالة خلال القرن التاسع عشر الميلادي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2009، ص245. انظر، آمال إمحمد الطالب: الحياة الأسرية في ولاية طرابلس الغرب في العهد العثماني الثاني (1835– 1911)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2006م، ص– ص 33– 34.

(2) جون فرنسيس ليون: من طرابلس إلى فزان 1818م، تعريب مصطفى جودة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1976م، ص– ص81– 82.

(3) تيسير بن موسى: المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، 1988م، ص265.

(4) غيرهارد رولفس: رحلة إلى الكفرة، ترجمة عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2000م، ص17، انظر، خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، الدار العربية للكتاب، 1997م، ص115.

في حين أن الأول لم يكمل تحصيله الطبي، والأخيرين هما طبيبان ومارسا الطب في أماكن مختلفة قبل بداية الرحلة، إلا أن رولفس مارس المهنة الطبية في الجزائر بصفة صيدلي لا بل طبيباً لدى الفرقة الأجنبية، وفي كتبه الأربعة التي دونها إثر رحلاته إلى ليبيا (1864– 1879م)، لا يأتي إلا لماماً للحديث عن الأوضاع الصحية.

ومن خلال مشاهداته في مرزق سنة 1865م، زار المستشفى العسكري العثماني بصحبة طبيب الحامية العسكرية، وعاين التجهيزات التي يحتويها المستشفى [5].

أما الرحالة الطبيب (ارفين فون باري) الذي قام برحلته إلى غات ثم إلى منطقة الآيير الواقعة في النيجر والذي استقر به المقام في مدينة غات لمدة شهرين، وعرف لدى الأهالي بأنه طبيب عسكري عثماني، وتطرق إلى الواقع الصحي وعن حالات الحمى التي عالج العديد منها

بواسطة دواء الكينا [*]، والنظارة الطبية التي قدمها لقاضي غات المتقدم في السن[6].

كان تناول الأوضاع الصحية لدى الرحالة السابقين قد اقتصر على إشارات فإن الأمر قد اختلف في حالة ناختيجال الذي انطلق برحلته من طرابلس في 18فبراير 1869م حاملاً هدايا الملك البروسي لتقديمها للشيخ عمر الكانمي سلطان برنو، ومكث في مدينة مرزق مدة تزيد عن تسعة شهور وقد زاول فيها المهنة الطبية، ويعقد الكتاب الأول من مؤلفه الذي قسم إلى ثمانية كتب جعلها في ثلاثة مجلدات بعنوان (الصحراء وبلاد السودان) وكان المجلد الأول يحمل عنوان (الكتاب الأول) طرابلس وفزان ومقسم إلى ستة فصول هو الآخر تناول الفصل الخامس منه، المناخ والأمراض، ومعظم هذا الفصل خصص لدراسة الأوضاع الصحية في فزان. فقدم نبذة عما يحتويه هذا الفصل وخاصة الأمراض الأكثر شيوعاً، وكان همه هو تقديم حصر شامل للأمراض في فزان، وهو ينطلق من أن مناخ فزان صحي وأن انتشار السبخات ووفرة المياه في المواقع المنخفضة من وادي الشاطئ وسبخة مرزق خاصة، تؤدي إلى انتشار حمى المستنقعات والملاريا، ويقول في مستهل حديثه خلال الفترة من 1869م، حتى إبريل 1870م لم يمضي أسبوع دون اعترائه نوبة ملاريا، وحسب رايه أن الدواء الفعال هو الكينا، وهو معروف في مرزق باعتبارها مركزاً إدارياً، وعلى اتصال دائم بمدن الشمال، ويقيم فيها طبيب عسكري إلا أن

(5) عماد الدين غانم: المادة المصدرية الألمانية حول الأوضاع الصحية في ليبيا من ق19 حتى النصف الأول من ق19إلى 20، أعمال الندوة العلمية التاسعة التي عقدت في المرج، في الفترة من 30/ 6 إلى 4/ 7/ 2001م، تحرير محمود أحمد الدويك، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2009م، طرابلس، ص115. انظر، رولفس: رحلة عبر أفريقيا مشاهدات الرحالة الألماني رولفس في ليبيا وبرنو وغينيا (1865– 1867م) ترجمة عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1996م، طرابلس، ص286

(*) شجرة الكينا :يُطلق اسم شجرة الكينا على مجموعة من الأشجار، والشجيرات القيّمة في أمريكا الجنوبية .يُستخدم شجر الكينا في تصنيع دواء الكينين والكينا الذي يعالج به الأطباء حمّي الملاريا .شجر الكينا دائم الاخضرار. وجد نبات الكينا لأول مرة، في بيرو والإكوادور .وتزرع هذه الأشجار في الهند وسريلانكا وشرقي آسيا ومناطق أمريكا الاستوائية الحارة وأجزاء من إفريقيا .أزهار أشجار الكينا ذات رائحة عطرية ذكية وألوانها تتفاوت، ما بين الوردي والأرجواني إلى الأبيض المائل للاخضرار. وتشبه في شكلها زهرة البنفسج. انظر، الموسوعة المعرفية الشاملة.

(6) الطبيب الألماني أرفين فون باري (1846– 1877م) ورحلته إلى غات وبلاد الآيير، ترجمة عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1995م، ص– ص181، 185، 203، 205.

هذا الدواء غالي الثمن ولا تستطيع عامة الناس الحصول عليه، وهذا ما جعل، الأهالي يغيرون موطن إقامتهم[7]. والأمراض التي كانت منتشرة هي:

- **الملاريا:**

وباء انتشر بشكل كبير خاصة في واحات الجنوب بسبب كثرة المستنقعات والبرك الراكدة بها والتي يطلق عليها (السباخ) وتكون هذه المستنقعات المكان المناسب لتكاثر البعوض الحامل لجرثومة الملاريا، وتكونت المستنقعات نتيجة لقرب المياه الجوفية من سطح الأرض وتحديداً في

منطقة وادي الآجال حيث تكثر الواحات وتعدد الآبار فتكون موطناً ملائماً لتجمع البعوض، الذي

ينقل الجرثومة، وهذا ما أكده الزافتاري (Zavatari) في حديثه عن البعوض متعدد الألوان والتي

يمكن العثور عليها في كل واحات فزان، إذ أنها قادرة غلى النمو حتى في المياه المالحة [8].

وتعد مدن وواحات الجنوب مركز لتوطن المرض بسب طقسها الجاف وكثرة المستنقعات بها، وهذا المرض يحصد الكثير من الأرواح.

مما تقدم يتضح أن منطقة فزان عرضة من حين لآخر للأمراض المستوطنة والوافدة، التي كانت أكثر خطراً، بذلك لعب الطب الشعبي والدواء العربي في التخفيف من الآم المرض، وعلى أدوية مختلفة من الأعشاب أو من الحيوانات، فهذا النمط من الطب والعلاج كان الوسيلة الوحيدة التي لجأ إليها المواطن في غياب الدواء، كما أن انعدام الوعي الصحي نتيجة للجهل والفقر جعلهم يلجأون إلى الأساطير والخرفات والتعاويذ والتمائم والاحجبة والتعاويذ لوضعها في ملابس المريض، وكذلك زيارة الأضرحة [9].

- **الحمى (الحميات):**

عرفت الحمى منذ زمن طويل وهي الأكثر انتشاراً في كل البلاد، والحمى بشكل عام تعني ارتفاع درجة الحرارة أو سخونة الجسم ولكن كثير من الأمراض تبدأ ارتفاع في درجات الحرارة، أما حمى الملاريا فقد كانت مميزة لان نوبات المرض ذات ثلاث مراحل هي (الحرارة، القشعريرة، العرق)، كما أن نوبات الملاريا تحدث كل

(7) عماد الدين غانم: المادة المصدرية الألمانية حول الأوضاع الصحية، مرجع سابق، ص- ص116- 117. انظر قاسم الجميلي: صفحات من تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ومركز بحوث النفط، طرابلس، 2003م، ص31.

(8) هلموت كانتر: ليبيا دراسة في الجغرافيا الطبيعية، ترجمة عبد القادر مصطفى المحيشي، مراجعة الزروق مصباح السنوسي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2002م، ص169. انظر، جوستاف ناختيجال: مصدر سابق، ص269، انظر، آمال محمد المحجوب: الأوبئة والأمراض والمجاعات في ولاية طرابلس الغرب (1935- 1911م)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2006م، ص52. انظر، محمد عمر مروان: الأوضاع الصحية والإجراءات الوقائية خلال العهد العثماني الثاني، أعمال الندوة العلمية التاسعة المرج، في الفترة 30/ 6 إلى 4/ 7/ 2001م، تحرير محمود أحمد الديك، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2009م، ص88.

(9) تيسير بن موسى: المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1988م، ص266. انظر، محمد عمر مروان: الأوضاع الصحية والإجراءات الوقائية خلال العهد العثماني الثاني، مرجع سابق، ص89.

ثالث أو رابع يوم فتعرف بالثلاثية والرباعية، هذه الحالات المتكررة تتلف قوام الإنسان تدريجياً، وتسبب تورم مستمر في المعدة، ويبدأ المريض في الغالب مع حمى حادة.

كما تحدث بعض الحالات الخبيثة التي تؤدي لصحابها للوفاة في وقت قصير، والوقت المناسب لانتشارها في فصلي الصيف والخريف، وبخاصة في موسم نضوج البطيخ، وكان يتم علاجها بالكينين (*) وهو علاجاً فعالاً، دون الالتجاء إلى جرعات كبيرة، حيث كان يقيم في مرزق طبيب عسكري عثماني، وكان على دراية بالكينين العلاج المداوي، إلا أن هذا الدواء كان باهظ الثمن، ولم يكن في متناول الناس، فهم إما يموتون ببطء أو يشفون من المرض، وفي حالة

المعالجات الأخرى في الغالب أن يستفيدوا من استخدام ملينات الأمعاء أو الأدوية المقينة، أو فترة علاجية بالزيت، وهي العلاج المفضل على نحو شامل [10].

- **الكوليرا (أبو كماش):**

يعد هذا المرض من أخطر الأمراض التي تعرضت لها الولاية، وتكمن خطورته في صعوبة السيطرة عليه طوال فترة انتشاره، وكان أول ظهور له حسبما ذكرته المصادر التاريخية في منطقة الهند بقارة آسيا، ووصل هذا المرض إلى الولاية عن طريق الحركة التجارية البرية والبحرية، إضافة إلى الحجاج وطلاب العلم وعرف هذا المرض بالعديد من التسميات منها، الهيضة والهواء الأصفر وأبو كماش، والأخير هو الاسم الأكثر شيوعاً [11].

وأما ناختيجال فقد ذكر أيضاً أن هذا المرض قد بلغ فزان في أواخر الخمسينات من القرن التاسع العشر، الذي عرف طريقه من طرابلس إلى فزان ونجم عنه وفيات كثيرة، وهو من الأمراض الوافدة الذي أتى من خارج البلاد، ويعالج بمساحيق القرفة والسكر [12].

- **الجدري:**

مرض الجدري من الأمراض الخطيرة والمعدية التي تعصف بالناس، وينتقل المرض عن طريق القوافل التجارية القادمة من المناطق الجنوبية أو عن طريق التجار المصابين به أو عن طريق الرقيق المجلوب من جنوب الصحراء وتحديداً من السودان وبرنو وأغاديس، وهذا المرض سبب في ارتفاع نسبة وفاة المصابين به، أما الناجي فلا يسلم حتى من اثاره السيئة على الجسم.

وطريقة العلاج التي كانت متبعة في المراحل الأولى من المرض، يتم مسح العينان ببول

(*) الكينيين Qunine: وهي كلمة اسبانية تطلق على مادة شبه قلوية شديدة المرارة، تعالج بها الملاريا، انظر جوستاف ناختيجال، الصحراء وبلاد السودان، المجلد الأول، الكتاب الأول، طرابلس وفزان، ترجمة الأصل الألماني إلى الإنجليزية، فيشر وهمفري فيشر ترجمة الإنجليزية عبدالقادر المحيشي، مراجعة عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين، طرابلس2007م، ص270.

(10) جوستاف ناختيجال: مصدر سابق، ص- ص 269- 271.

(11) آمال محمد المحجوب: الأوبئة والأمراض، مرجع سابق، ص- ص39- 40.

(12) جوستاف ناختيجال: مصدر سابق، ص 272.

المريض أولا لحمايتها ثم يمسح جميع الجسم وعندما تبدأ البثور بالظهور تغطى المواضع التي ظهرت عليها بالقطن المغمور في بول الإبل الساخن، ويسقى ببول الجمل أيضاً، وينقط في عيني المريض نقوع البصل، اما اللقاح فإنه معروف عن طريق الشمال ويجري العمل به على نحو مفصل شحمتي الأذن والأصداغ [13].

- **الدرن الرئوي (ابو جنب):**

وهو مرض السل، أو ما كان يعرف شعبياً باسم مرض الرقيق، وعلامته الهزل الشديد والضعف العام الذي يصاحبه سعال شديد، وينتقل المرض بواسطة التنفس والرذاذ المتناقل، وقد أشار ناختيجال إلى هذا المرض الذي كان موجود ولكن ليس بالقدر الذي كان يتوقعه لأنه كان يعرف بالسل الرئوي، ويخافه الناس كثيراً، ويعتقد بأنه وراثي، علاوة على أنه معدٍ، وعلى هذا يتحاشى الناس كل من يصاب بهذا المرض خوفاً من العدوى، ولكن كل الحالات التي تم فحصها طبياً لم يكن بها نزيف رئوي أو تكوين وراثي، ومع هذا فإن المرض يحدث، وفي بعض الحالات الأخرى من هذا المرض كان يلازمه مرض (لبوجنب) ويسبق كلتا الحالتين المرض الشديد، هذه الأمراض لم تنهي الا أن الحمى تنتهي تدريجياً ويعيد المريض عافيته[14].

وعند الكشف على الرئتين في حالة مرض لبوجنب وجد أنهما غير طبيعيتين وتميل في الغالب إلى إحداث إفرازات دون المرض، ويعتبر المرض شائعاً في كلا المرضين، وعدد المصابين به محدود وطرق علاجه الشعبية المتبعة هي، يتم استعمال لحم الكلاب أو شحمها أو حساء الخنافس ويقدم للمريض، أو بطريقة أخرى مماثلة، مزيج من الشب والزنجبيل والفلفل الأسود وبعض المواد العطرية، وتؤخذ في شكل مسحوق مع شحم سائل أو بواسطة الحجامة أو الكي بالنار، أو عن طريق نقوع براعم الطندب الصغير[*]، يقدم للمريض ساخن بدرجة معتدلة[15]، وهو من الأمراض الشتوية.

- **السعال الديكي:**

يعد من الأمراض الشائعة في المجتمع ويصيب الصغار فقط ووسيلة نقله الاتصال المباشر، وهي كحة تصيب الأطفال مثل صياح الديك وبذلك سميت بهذا الاسم، وهو من الأمراض المنتشرة في مدينة مرزق والتي وضعها ناختيجال تحت مراقبته، وعلاج هذا المرض يتم بواسطة لف كمية من القطن مع بارود في ورق جمع السكر الأزرق –الرمادي، ثم توضع على الجزء الأعلى من عظمة الصدر (أي صدر الطفل) ثم يشعل فيها النار، ولضمان نجاح العملية

لابد من توفر ورق اللف الأزرق المذكور، إذ ما أريد الحصول على النتائج المطلوبة [16].

---

(13) جوستاف ناختيجال: مصدر سابق، ص272. انظر، آمال محمد المحجوب: الأوبئة والأمراض، مرجع سابق، ص53.

(14) جوستاف ناختيجال: مصدر سابق، ص273.

(*) الطندب الصغير: هو شجرة قصيره لها ثمار حمراء اللون، لها طعم حلون وبه بعض المرارة. والأفضل فيها ما كبر حجمه وكان لونه أحمر داكناً. ولها بذور لونها أبيض تشبه حبة العيش (الذرة) وعندما نأكل ثمره نبقي البذور، حمد الطيب النوبي دراسة تحليليه، يونيو 2012 معاني اسماء قري السدارنه، ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(15) جوستاف ناختيجال: مصدر سابق ص– ص 273– 274.

(16) المصدر نفسه، ص274.

- **الزحار:**

من الأمراض التي تصيب الإنسان والتي تنتقل عن طريق المياه الملوثة ولهذا المرض نوعان الزحار الأميبي والزحار البكتيري، والأميبي هو إحدى أمراض المناخات الحارة، وتعيش المتحولة الحالة للنسيج كطفيلي في الأمعاء الغليظة للإنسان دون حدوث أي ضرر، ولا تكون ممرضة إلا عندما تكون الطريق إلى الغشاء المخاطي للأمعاء مفتوح أمامها، ويحدث هذا عقب الإصابات البكتيرية التي تسبب تقرحات في حالة اجتماع الزحران الأميبي والبكتيري معاً.

وينتقل هذا المرض بسبب تلوث التربة وأماكن السكن والمياه وبواسطة الذباب والجردان والفئران، وفي حالات الجلوس على أركات البيوت المعرضة لأشعة الشمس، وفي الغالب يخلط بين الزحار والبواسير، وتعالج بثمار السنط الغنية بمادة الدباغ أو بمسحوق العظام، أو الجلوس على أوراق التبغ الصفراء، أو النوم على جلد أسد أو نمر، أو أدوية عربية مثل الفلفل الأحمر والحلبة ودقيق القمح يخلط بالزبدة بمقادير متساوية أو حتى كي الأرداف في بعض الحالات [17].

- **التهابات الحلق واللوز:**

من الأمراض المتوطنة التي تصيب الإنسان في حالة تعرضه للتغيرات المناخية التي تسبب في التهاب الحلق واللوزتين مما يسبب في تورمهما، وضيق في البلعوم وتصبح عملية البلع صعبة للغاية، وتعالج التهابات اللوز بواسطة بثر لسان المزمار داخل الفم، وفي حالة خوف المريض من المشرط، فيوضع عجينة من الثوم على رقبته مع خليط من الحلتيت [*]، والزباد المرطب باللعاب على اللوزة واللهاة [18]. أما طريقة العلاج الأخرى هي عملية (القلع[**]) أي قيام المداوي الشعبي بإدخال إصبعه في فم المريض ويضغط على اللوزة المصابة حتى يتم فتحها وإخراج الصديد الذي بداخلها، وهذه هي الأمور المتعارف عليها.

- **أمراض النساء:**

وقد أشار ناختيجال إلى أمراض النساء التي كانت متوطنة بالمناطق الجنوبية والتي تتعرض إليها المرأة من حين للآخر، وكانت هذه الأمراض في مجملها هي: العادة الشهرية،

و العقم، والإجهاض، والتهابات غدة الثدي، وسرطان الصدر والرحم، ونزيف الرحم، ولم يكن متأكد من سن بلوغ البنات مبكراً حسب ما اشار إليه الرحالة السابقين إلى منطقة فزان، وقد أشار إلى العادة التي كانت تطبق في فزان على البنات في سبيل تسمينهن بجرعة صغيرة يومية من الحلتيت أو بالاستعمال الدوائي للحلبة، وفي حالة عدم الاستجابة، تتناول المريضة ولمدة ثلاثة أيام معجون جذور الفوة[***]، مع دقيق الشعير والزبدة والسكر، وبعد

(17) هاملتون كانتر: ليبيا دراسة في الجغرافيا الطبية، مصدر سابق، ص173، انظر، جوستاف ناختيجال: مصدر سابق، ص275.

(*) الحلتيت: صمغ رانتيجي يستخرج من جذور بعض النبات وكان يستعمل كعلاج للتشنج، انظر، جوستاف ناختيجال: مصدر سابق، ص276.

(18) جوستاف ناختيجال: مصدر سابق، ص- ص275- 276.

(**) القلع: هي عملية علاجية متعارف عليها لدى الليبيين منذ القدم، الباحث.

(***) الفوة: Rubiatinctorum وهي النبات المعروف شعبياً بالروبية، انظر، جوستاف ناختيجال: الصحراء وبلاد السودان، مصدر سابق، ص280.

حدوث الإسهال، يحدث في الغالب النزف[19] وإذا استمر لمدة أسبوع، يعالج بسكب خلاصة نقع أوراق التين، وتعتبر أوراق التين الوصفة الرئيسية ضد نزيف الرحم، ويستعمل ضد توقف الحيض براعم الرمان المجففة كحساء. ولكن الزواج أفضل منها، أما غدة الثدي فعلاجها بمرهم من المر والمسك والزعفران تماماً كما يعالج سرطان الصدر، وعلى المريض عدم تناول أي أطعمة تأتي من الحيوانات المذنبة، بصرف النظر عما إذا كانت لحماً أو شحماً أو حليباً أو زبدة.

أما علاج سرطان الرحم، يتناول المريض صحن من اللفت والبرسيم وبذور البصل ودقيق الشعير بمقادير متساوية مع القليل معجون حب الرشاد وبرادة الحديد.

كما أشار إلى المحاولات التي تبدل من أجل زيادة قدرة المرأة على الإنجاب وهي تناولها لأحشاء مجففة لأرنب برية ما تزال في مرحلة الرضاعة، في الوقت الذي كانت فيه عملية الإجهاض متكرر الحدوث، وتقوم بها العجائز دون تعرضهن للعقاب، والطريقة المتبعة والمعروفة هي تناول المرأة الحامل (كريات من التبغ أو القطن مع عصارة شجرة العشر) أو نقوع الحنة وسخام أواني الطبخ الفخارية نفس المفعول. بالإضافة إلى العادة السيئة والتي كانت منتشرة بمنطقة فزان وهي عملية نوم الطفل في رحم أمه لفترة زمنية، وحيث أن الفزانيين يسافرون لوقت طويل فإن هذا الاعتقاد الزائف يعطي المرأة العابتة ترحيباً وذريعة مناسبة لزوجها في وضع محترم لأي زيادة في العائلة تكون قد حدثت أثناء غيابه [20].

- **أمراض العيون:**

تعتبر من الأمراض المنتشرة والمزمنة ومن بين قائمة الأمراض في فزان، ولم تكن التهابات العيون الداخلية والسد والكمنة [*] والتهابات الشبكية وغلاف العين المشيمي والعصب

البصري والرطوبة الزجاجية، ليست تماماً متعددة، في حين لا يزال عدد المصابين بالقرنية و

الملتحمة صغيراً، وتجمع كل الأمراض تحت اسم واحد وهو (الرمد[21]) وسبب انتشارها هو كثرة الرمال الدقيقة التي تذرها الرياح على العيون فتحدث تجريحات وخدوش تكون مدخلاً للجراثيم، تؤدي إلى احتقان الجفن وتتورم العين وتتحول الالتهابات إلى قرحة أو خراج، وقد تتعمق إلى طبقات العين الاخرى، وينتج عنها الالتهابات المزمنة وعسيرة العلاج، وهناك أسباب أخرى تجعل العين عرضة للأمراض، نجد أيضاً حرارة الشمس، والذباب الذي يكثر في المناطق الجنوبية وبخاصة في موسم التمور والأطفال هم الأكثر عرضة، وتنتشر أمراض العيون بدرجة كبيرة ولا يوجد أحد في حياته لم يتعرض لهذا المرض ولو لمرة واحدة[22].

---

(19) المصدر نفسه، ص280.

(20) جوستاف ناختيجال: الصحراء وبلاد السودان، مصدر سابق، ص- ص281- 282.

(*) السد Cataract: أعتام عدسة العين، الكمنة Amaurosis: عمى جزئ أو كلي، انظر، غوستاف ناختيجال: الصحراء وبلاد السودان، مصدر سابق، ص280.

(21) جوستاف ناختيجال: الصحراء وبلاد السودان، مصدر سابق، ص- ص279- 280.

(22) عبدالحكيم حكمت: الطب الشعبي في ليبيا، صورة للطب والأطباء في النصف الثاني حتى القرن التاسع عشر، ترجمة وتحقيق عبدالكريم أبو شويرب، مركز جهاد الليبين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1989م، ص- ص56- 57. انظر، عبدالكريم أبو شويرب: أعلام ومعالم من تاريخ الطب في ليبيا، مطابع

وتعالج بمسحوق مخلوط من سكر نبات والحبة السوداء ولسان البحر والمر والتوتيا (خام أكسيد الزنك) الذي يوضع في العين بمقادير صغيرة، وإما بمسحوق مرارة الغراب بعد تجفيفها وخلطها مع السكر، وأحياناً يعالج بواسطة الكي على الصدغين [23].

- **مرض الروماتيزم:**

وقد أشار ناختيجال إلى مرض الروماتيزم الذي كان من ضمن الأمراض التي انتشرت في فزان، وهو من الأمراض الشائعة مثل الاضطرابات المعوية، ويتراوح ما بين روماتيزم المفاصل الحاد إلى الحالات العضلية المعتدلة، وهو مرض مفصلي يؤثر بشكل كبير على المفاصل ولكن ببطء، والعلاج المفضل له الكي بالنار على العضو المصاب، وقد يؤدي إلى تشوه المفصل وأحياناً يصبح جسم المريض مرصعاً بعلامات الكي، كما أن البعض يقوم بنفسه بكي المكان الذي يؤلم ويأتي الكي تفضيلاً على جميع المعالجات الاخرى، لأن منطقة فزان لا يوجد بها حمامات بخارية لمثل هذا المرض وهو العلاج المفضل لمثل هذه الأمراض في منطقة الشمال[24].

- **الزهري:**

وهو من الأمراض التي ظهرت في هذه الحقبة في بعض مناطق الولاية، وبشكل خاص في مرزق التي كانت محطة القوافل التجارية والرقيق القادمين من مناطق جنوب الصحراء، ومن

الأمراض المعروفة منذ زمن طويل في فزان وتنتقل عدوى المرض أيضاً من الرجال العائدين من طرابلس أو تونس وقد ذهبوا هناك لطلب العيش والعمل، وكذلك من الأجانب الذين يزورون فزان ويحدث المرض نتيجة الاختلاط المشبوه [25].

ونظراً لخطورة هذا المرض فعرف بالكبير أي المرض الكبير، أو السلطانة أي ملكة الأرض فلا يجد أحد في فزان إلا نادراً ما قاسى من هذا المرض ويتحدثون عنه بدون تحفظ، ومع هذا فإنه قليل الانتشار في المراكز العمرانية قليلة السكان والبعيدة عن الطرق الرئيسية وكانت أعراضه تسمم في الدم، التهاب موضعي والتهابات في العظام ويعالج بنبات القشاغ Sarsaparilla(*) وتعرف باسم عشيبة، وتعني حرفياً عشبة وهي مشهورة في تونس وغيرها من البلدان الساحلية باسم جميل، مبروكة أمباركة، ويعالج المرض بخلاصة من الأخشاب، وبالجوع

الوحدة العربية الزاوية، 2005، ص211، انظر، صادق مؤيد العظم: رحلة في الصحراء الكبرى بأفريقيا، ترجمة عبدالكريم أبو شويرب، مراجعة صلاح الدين حسن السوري، مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1989م، ص75.

(23) جوستاف ناختيجال: الصحراء وبلاد السودان، مصدر سابق، ص280. انظر رجب نصير الأبيض: طرابلس الغرب في كتابات الرحالة خلال القرن التاسع عشر الميلادي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2009م، ص250.

(24) جوستاف ناختيجال: الصحراء وبلاد السودان، مصدر سابق، ص276.

(25) جوستاف ناختيجال: الصحراء وبلاد السودان، مصدر سابق، ص278. انظر، عبدالكريم أبو شويرب: مشاهداتي حول الطب الشعبي في فزان، مجلة البحوث التاريخية، السنة الأولى، العدد الثاني، يوليو 1979م، مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي طرابلس، ص- ص39- 47.

(*) القشاغ: نبات طبي معترش من الفصيلة الزنبقية يتخذ من جذوره شراب مقو ومطيب وتطلق اللفظة الإنجليزية على جذور هذا النبات أو على خلاصتها، انظر، ناختيجال: الصحراء وبلاد السودان، مصدر سابق، ص278.

الشديد، والحليب الذي يوضع في ثمرة الحنظل بعد تجويفها ويترك لمدة اثنى عشرة ساعة، ويؤخذ في مواعيد ومقادير معينة، ويمنع المريض أثناء هذه المعالجة عن تناول لحم الماعز والبقر والإبل[26].

- **أمراض الجهاز البولي:**

فهو من الأمراض المتوطنة في فزان وضواحيها، مع مكونات الحصى الكلوية وانسدادات في المجرى البولي والتهابات في المثانة والكلى، ومغص حاد، وعدم سيلان البول بالشكل الطبيعي، وهذا المرض يصيب الكبار والصغار في آن واحد ومن أسبابه عدم العناية بالصحة وشرب المياه الغير نظيفة من البرك والمستنقعات التي تنمو فيها الديدان المعوية بشكل كبير، إلا أن الاعتقاد السائد لدى المواطنين في تفشي هذا المرض هو التعرض المفرط لحرارة الشمس، والعلاج الشعبي المتعارف عليه: دقيق حبوب الكتان وكربونات النطرون مع الزيت أو ماء الشعير[27].

- **مرض اليرقان (بو صفير):**

لقد أشار ناختيجال إلى مرض اليرقان (الصفير) وهو من الأمراض التي تصيب الإنسان

ويتلون الجسم والعيين باللون الأصفر يعرف باليرقان، وهو من الأمراض الخطرة التي تؤدي إلى تضخم الكبد، وفي حالة عدم علاجه بسرعة القصوى يتحول إلى معدي وينتقل بواسطة الدم، أما علاجه، فيتم بواسطة خليط مكون من (كركم وبصل وبيض محمر في زبدة متبل بالملح) ويعطى للمريض وينام على فراش من البرسيم [28]. بالإضافة إلى أنه هناك علاج شعبي يعرف (بالبزيق) وتنمو هذه الشجرة تحديداً في مدينة الخمس وتنتج ثمار كبر الواحدة منه قدر ثمرة البلح وبها من الداخل مادة سائلة يتم عصرها بداخل أنف المريض لعدة جرعات [29].

- **الأمراض الجلدية:**

وكان من جملة الأمراض التي ذكرها ناختيجال الأمراض الجلدية إلا أنه لم يحدد أسمائها جميعاً، وإنما اكتفى بذكر بعضاً منها، وذكر لكل نوعية العلاج الخاصة به فعلى سبيل المثال عندما تحدث الحمية فعلاجها الدلك بالزين والملح، أما مرض الشرى(*) فيخلط له كميات من روث البقر والأغنام والإبل جميعاً وتعد على شكل مرهم ويوضع على المواقع الملتهبة، أو معجون من الشب ونبات الشمار والقرنفل والورد ومسحوق نوى البلح، تخلط مع قليل من الشمع، أو بالسائل الحليبي لشجرة العشر Calotropis porcera، أو بمرهم صنع من مسحوق حبوب الخروع أو الكي.

أما الالتهاب المعروفة بالعقرة والحمرة والورم الدموي والداحوس والدمل تمسح بمرهم من (المحلب والمر والزعفران والورد أو تغطى بكمادة من مسحوق الحنة مغلية في شحم الماعز أو كبريت مع سائل يعصر من سيقان

(26) المصدر نفسه، ص- ص278- 279.

(27) المصدر نفسه، ص279.

(28) المصدر نفسه، ص276.

(29) توجد هذه العشبة بمدينة الخمس، وتحديداً بمقبره سيدي بن جحا الخمس، الباحث.

(*) مرض الشرى Urticaria: طفح جلدي ذو بثور حكاكة، ويعرف في الشمال باسم ابو شوكة، واشار إليه ناختيجال باسم الحراز، انظر، جوستاف ناختيجال: مصدر سابق، ص276.

نبات القمح أو بارود في زيت يفيد ضد الالتهابات الفطرية أما الجرب فهو أقل انتشاراً لدى الإنسان وأنه مرض مألوفاً ويتم علاجه بواسطة الكبريت الذي يؤخذ من آبار وعيون خاصة يتواجد فيها على شكل طين ويحلل بقليل من الماء و تطلى به المنطقة الجربة، إلا أنه أكثر الأحيان يصيب الإبل وعلاجه الكبريت أيضاً[30].

- **الدم:**

وهو ألم وصداع يصيب الإنسان وارتفاع في درجة حرارة الجسم وأرق شديد، وهبوط كامل

لجسم المريض، وعلاجه يتم بالحجامة وهي وضع المغاثة على الجسم بعد أن يضعوا بها قطعة من الورق المشتعلة داخلها لحرق الهواء، وتمتص المغاثة الدم الفاقد ويكون على هيئة كرة صغيرة بداخلها يتم تشليحها وتعاد المغاثة مرة أخرى بنفس الطريقة لاستخراج الدم الفاسد، أما عملية فصد الدم فهي غير مألوفة في فزان، وإلا لكان السكان يقومون بقطع شرايينهم بانتظام كلما دعت الحاجة لذلك، كما يستعملون السكان من حين لآخر الملينات والتمر الهندي[**]، وهو في متناول الجميع، أما الراوند[*]، فهو من النادر الحصول عليه، وهو غالي الثمن، ويستعملون أيضاً الأدوية المنزلية مثل كميات كبيرة من العسل، واللاقبي الطازج، وحليب الإبل، إلا أنهم لم يستعملوا (السنا والحنظل) وهما العلاجان القاعلان، وحتى أن تم استعمالهم كان لعلاج الحالات المستعصية فقط.

أما فيما يخص استعمال الحقنة الشرجية، فهي شيء مقيت في فزان، وتجد معارضة قوية من قبل الأهالي [31].

- **أمراض أخرى (متفرقة):**

فضلاً عن الأمراض السالفة الذكر، والتي كانت أكثر شيوعاً من غيرها، فقد عرفت الولاية جملة من الأمراض غير المعدية وبخاصة في فزان، والتي يتعرض الإنسان للإصابة بها في كل مكان وزمان، وقد نقل لنا الطبيب غوستاف ناختيجال وصفاً لبعض هذه الأمراض أثناء تواجده في المناطق الجنوبية من البلاد ومن هذه الأمراض مرض سرطان المعدة، القرحة المعدية.

فضلاً عن هاذين المرضين فقد ذكر مرض سرطان الكبد، ولكنها حالة واحدة فقط قد اكتشفها خلال إقامة في مرزق، وعلاجها هو يعطى للمريض ثوم وزبدة على التعاقب وبكميات صغيرة [32].

ومن خلال متابعته للأمراض لقد لاحظ في بعض الأحيان ترسبات صبغية على وجه الإنسان تحت الغشاء المخاطي للرضات، وهي إما بقع سوداء أو رمادية سوداء تسمى الكلف، وهذا المرض يجعل وجه الإنسان

---

(30) جوستاف ناختيجال: الصحراء وبلاد السودان، مصدر سابق، ص- ص276- 277

(**) التمر الهندي (Tamarindus indica) اسم الجنس العلمي من الاسم العربي وهو شجر مثمر من الفصيلة القرينة ثماره غذائية ملينة ويصنع منها شراب وحلوى. انظر، غوستاف ناختيجال: مصدر سابق، ص287.

(*) الراوند (Rheum rhoponticum): عشب من الفصيلة البطاطية (Polygonaceae) ومن أنواعه الريباس (Rheumribes) ذو منافع طبية، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(31) المصدر نفسه، الصفحة نفسها. انظر، محمد سعيد القشاط: التراث الشعبي العربي الليبي، منشورات اللجنة الشعبية العامة للإعلام والثقافة، طرابلس، 2006م، ص128.

(32) جوستاف ناختيجال: الصحراء وبلاد السودان، مصدر سابق، ص274.

مشوهاً، ويعالج بالعرق الزبدي المتكون على سطح الجزء الداخلي الأعلى من فخذ حصان ساخن، ويعتبر تغير لون الجلد وضموره كمرحلة من مراحل الجذام، ويعرف في الساحل بالبرص وهو أقل شيوعاً في فزان من المناطق الساحلية، ونوه إلى داء الخيطيات(*) (داء الفلاريا)، المنتشر على نطاق واسع في بلاد السودان، ويأتي في بعض الأحيان إلى فزان ويعرف باسم العرق ولكن ليس من الأمراض المتوطنة[33]. وفي آخر حديثه عن الأمراض، ذكر منها التي تبدو أقل انتشاراً في إقليم فزان، وهي تلك التي تخص الدماغ والجهاز العصبي والسكتة الدماغية والحمى الدماغية والصرع وغيرها، وهذه الحالات نادرة الحدوث. وتطرق إلى بعض الحالات المرضية المزمنة مثل العمود الفقري والآلام العصبية والاضطرابات النفسية لدى النساء وتعالج ببعض من سور القرآن والسحر الوجداني، أما الذين يعانون من التهابات المخ فتضع على رؤوسهم عصيدة ساخنة من دقيق الشعير، أو وضع إناء فوق رأسه وتطفى فيه قطعة من الحديد الساخنة، وتسحب القطعة من وراء المريض حتى تكون ذات مفعول [34].

أسباب انتشار الأمراض:

ومن المؤكد أن سبب انتشار الأمراض محلياً بين سكان المدن وأهالي الدواخل، فإن العدوى بها كانت تنتقل وتتفشى بينهم عن طريق الاختلاط واتصال الأفراد بعضهم ببعض، ومن ذلك عدم الوقاية، وعدم أخذ الحيطة فيما يتعلق بأساليب الأكل والشرب، وتبادل الحاجات فيما بينهم، وعدم الحجر على المريض أو عزله، وقيام أهل المريض بخدمته والعناية به، وعلاجه بأنفسهم، كل هذا مع افتقاد البلاد لوسائل العلاج السوي، وعدم وجود مستشفيات وأطباء وأدوية، وإن وجدت هذه الأدوية فإنها كانت في الأزمنة القديمة متأخرة أو لا تفيد في شفاء المرضى والقضاء على الأمراض المستعصية، أما عن الأسباب المباشرة التي ذكر جوستاف ناختيجال لانتشار الأمراض كانتا سببين الأول بشري والثاني طبيعي وسنحاول أن نلقي الضوء عليهما.

أولاً: الأسباب البشرية:

- **العين:**

تعتبر العين الشريرة من أكثر أسباب الأذى التي تصيب الإنسان والحيوان وفي بعض الأحيان حتى الممتلكات لم تسلم من تأثيرها، لأن بعض الأفراد الذين يمتازون بالحسد المتعمد هم الذين يمارسون تأثيراً مؤدياً على الأخرين، ولهذا عمل عامة الناس على حماية أنفسهم وأطفالهم وحيواناتهم وممتلكاتهم من الأذى الذي يتعرضون له، لذلك كان أغلب يتجهون إلى الفقه لعلاج مرضاهم من العين لأن الناس كانت تنظر لكل من تعلم القراءة والكتابة وحفظ قدراً من القرآن الكريم، بما يؤهله لكتابة التمائم والرقية والأحجية، لاعتقادهم بمدى فاعليتها وأنها ستدرأ عنهم خطر المرض، لأن كتب الحديث والفقه حفلت بأحاديث مروية عن الرسول مثل قوله – صلى

(*) داء الخيطيات أو داء الفلاريا (معريه) وسميت هداية وسماها أحد الأطباء عرفه وهي ديدان صغيرة مضرة من السلكيات تصيب الإنسان والخيل والبقر، وعرفها الأب أنستاس في عدد شهر أكتوبر عام 1926م من مجلة المعهد الطبي العربي بدمشق (بالعرق المدني). انظر، جوستاف ناختيجال: الصحراء وبلاد السودان، مصدر سابق، ص277.

(33) المصدر نفسه، ص277.

(34) جوستاف ناختيجال: الصحراء وبلاد السودان، مصدر سابق، ص274.

الله عليه وسلم- " الكمأة(*) من المن وماؤها شفاء للعين"، وقال - صلى الله عليه وسلم عليكم بالسنا(**) والسنوت(***)، فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام، قيل يا رسول الله وما السام، قال الموت(35).

ويناقش نظرة الأهالي إلى أسباب المرض، ويرى بأنهم يعزونها إلى الجن أو الإصابة بالعين، وعلى هذا الأساس فإن الأحجبة توضع عند عتبة كل بيت ويحملها الإنسان والحيوان على ذراعه أو في رقبته فرس خنزير بري، أو عظم سمكة أو أسنان كلب أو حجاب لرد مفعول السحر والفطرة الشريرة (36).

- **السحر:**

السحرة هم الذين يتبنون فكرة معرفة أسرار العالم الآخر والذين تمنحهم الروح الجبارة روحاً حامية تطيع أوامرهم والتي يمكن استدعائها في أي وقت. ومن ثم يمارسون أعمالاً شيطانية، ما أنزل الله بها، مثل ممارستهم للسحر الأسود إما باستحضار روحهم الحامية عندما يكون القمر باهتاً لجلب الموت أو المرض أو بضع تماثيل من الصلصال أو القماش يطابقونها بعد ذلك على الشخص المعني ويكسرونها أو يدمرونها أثناء قراءة تعاويذ سحرية، والضحية في نفس الحالة من يصاب بالمرض (37). والمقصود بذلك عالم الجن والشياطين والأفكار المنتشرة في هذا المضمار تعوذ في معظمها إلى عصر ما قبل الإسلام.

والجديد فيها أنها صبغت بصبغة إسلامية، وهذا ما أجاز للناس أن أتاح للفقهاء القيام بدور في علاج الأمراض المرتبطة بهذه الظاهرة. فالفقهاء يزعمون أن لديهم القدرة على الاتصال بالعالم الغيبي السفلي والعلوي، وتسخير كائناته الخفية لخدمة أغراضهم ومطالبهم، وأضفى هؤلاء على ممارستهم طابعاً دينياً، فجذبوا إليهم الناس إلى الظواهر المثيرة التي تبدو لهم وكأنها معجزات أو خوارق، فلجئوا إلى وسائل غيبية علها تفضح لهم عما خفي عن مداركهم فكانت مسائل الأرواح والجن والعفاريت والتنجيم، هذه أمور صاحبت الإنسان منذ أن ظهر على هذا الكوكب ورأى من الظواهر المحيرة ما أرجعها إلى قوى خفية وأرواح شريرة أو مخلوقات أسطورية(38).

(*) الكمأ: الترفاس أو جمعها الكمأة أو الكمو، وهو نوع من أنواع الفطريات ينتمي إلى الفصيلة الكمئية ينمو على الأرض ويختلف في حجمه بناء على الاختلاف في أنواعه ويأكل هذا النبات مطبوخ، ويذكر أن الكمأ ينتمي إلى جنس الدرنات التي تنمو تحت سطح الأرض أو على جذور الأشجار أو بالقرب منها وهو من الأنواع الغذائية الثمينة والغنية، حيث تم استخدامه كمكون رئيسي من مكونات الطب الشعبي لكونه مصدر غني بالعناصر المفيدة للجسم، انظر موقع موضوع، أكبر موقع عربي بالعالم بواسطة هناء حسن، أبريل 2018م.

(**) السنا، أو (السنامكي) نسبة إلى موطنه الأصلي (مكة المكرمة) أو (السنا حجازي)، وهو نوع نباتي مزهر من رتبة الفوليات، لونه مائل للزرقة، وهو من النباتات القديمة، التي استخدمت منذ القدم وبالأخص لدى حضارة الفراعنة، من أنواعه في الوطن العربي، (السنا الإيطالي) و (السنا العربي)، يزرع في مكة المكرمة، وفي أماكن اخرى، الهند، الصين، الباكستان، وله فوائد كثيرة، انظر، موقع موضوع أكبر موقع عربي بالعالم، بواسطة هناء حسن، سبتمبر 2014.

(***) السنوت، ينتمي إلى الفصيلة الخيمية يبلغ إرتفاعه من متر إلى مترين، ويعرف في العالم بعدة أسماء (الشمر، البسباس والحلبة الحلوة)، وينتشر في مصر واليونان وسوريا والمملكة العربية السعودية، انظر، موقع موضوع أكبر موقع عربي بالعالم، بواسطة آية تقاطفة، مارس 2016م.

(35) جيمس هاملتون: جولات في شمال أفريقيا، تعريب، المبروك محمد الصويعي، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، طرابلس ليبيا، د. ت. ، ص- ص126- 127، انظر، علي محمد إبراهيم أبو رأس: نظرات في الطب الشعبي، الأوضاع الصحية في ليبيا (1835- 1950م) أعمال الندوة العلمية التاسعة المرج، مرجع سابق، 2009م، ص206.

(36) جوستاف ناختيجال: مصدر سابق، ص286.

(37) هلموت كانتر: مصدر سابق، ص- ص119- 120.

(38) علي محمد إبراهيم أبو رأس: نظرات في الطب الشعبي، أعمال الندوة العلمية التاسعة المرج، مرجع سابق، ص- ص206- 207.

وهذه الأعمال الشيطانية تمارس من كلا الجنسين رجال ونساء، إلا أنهم يعتبرون ما يقومون ليس سحراً ولكنه كرامات، لتوفير الحماية لحاملها من الحسد والعين والسحر، سواء كان إنسان أو حيوان.

وهناك أسباب بشرية أخرى تؤدي إلى انتشار الأمراض يكون الإنسان هو المسبب الحقيقي لانتشار المرض، مثل عدم الاهتمام بنظافة اليدين أو الثياب وكذلك المكان، فترك البدن بدون نظافة يكون سبباً في انتشار الأمراض، لذلك نجد دينيا الحنيف يدعو إلى الاهتمام بالنظافة في غير مواضع من القرآن الكريم، قال تعالى:﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾[39]، وقوله:﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين ﴾[40].

فنظافة الثياب وطهارتها تقي صاحبها من الأمراض الخارجية التي تصيب الجلد، فشكل نمط البناء العشوائي في مدن الجنوب، والمتمثل اساساً بالأزقة الضيقة، سبب في انتقال الأمراض بين الأهالي.

هذه عوامل مجتمعة تؤدي إلى عدم النظافة بشكل عام، بالإضافة إلى انعدام الوعي الصحي، وانتشار الجهل في ذلك الوقت لعب دوراً مهماً في إصابة الناس بالأمراض، فهم لا يؤمنون بالأطباء ولا بإمكانية علاجهم للأمراض، دائماً يعتقدون الدجالين والمشعوذين فيلجأون إليهم ويتبعون نصائحهم، ويستخدمون التمائم والأحجبة والرقي ويقومون بتعليقها على أجسادهم، اعتقاداً منهم بأنها ستدرأ عنهم خطر المرض، وهذا الأمر كان شائعاً حتى لدى النخبة الحاكمة[41].

ومما زاد تلك الأوضاع سوءاً تسلط موظفي الضرائب المرسلين لجباية الضرائب الذين

قاموا باستنزاف اموال الفلاحين وإثقال كاهلهم بمبالغ إضافية، ولم تقتصر هذه السياسية على منطقة دون أخرى، بل امتدت لتشمل مناطق عديدة لفزان وغدامس، التي كسدت التجارة فيهما، حيث كانت عماد اقتصاد السكان، إلا أن ذلك لم يتغير من مقدار الضريبة المفروضة عليهم، ففي هذا السياق قدرت الضريبة المفروضة على فزان ب(9000) قرش، مما ترك أثاراً سلبية على السكان التي تعرض نساؤها لسلب حليهن وملابسهن من قبل حياة الضرائب، مما أجبر اعداد من السكان إلى الهجرة خارج فزان، وكان الحال ذاته في غدامس التي فرضت عليها هي الأخرى ضرائب إضافية عرفت ب(خزينة إعانة السلطان، التي قدرت ب 150 ألف محبوب وذلك تعويضاً لعدم مشاركتها السلطة في حروبها ضد الحركات المناوئة لها). فكان من نتيجة ذلك أن اضطر بعض السكان لبيع بيوتها لتسديد القيمة الضريبة المفروضة على الجميع فقيرهم وموسرهم [42].

(39) سورة البقرة: الآية، 220.

(40) سورة التوبة: الآية، 108.

(41) فتحية محمد الوداني: الأزمات بإيالة طرابلس الغرب في العهد القرمانلي (1711– 1835م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الأكاديمية الليبية، فرع مصراتة، 2017– 2018م، ص– ص82– 84.

(42) آمال محمد الطالب: الحياة الأسرية في ولاية طرابلس الغرب في العهد العثماني الثاني (1835– 1911م)، مرجع سابق، ص– ص101– 102.

ثانياً: الأسباب الطبيعية:

أما العوامل الطبيعية هي الأخرى لعبت دوراً سلبياً في تفشي الأمراض وهي:

- **المناخ:**

تمتد فزان بين العروض المدارية، فسواء وقعت بين خطي22° و29° شمالاً أو 24° و 28° شمالاً فهي تمثل جزءاً من الصحراء الكبرى والوسطى، في حين أصبحت الجهات الصالحة للعمران محدودة، ويسودها الظروف المناخية التي تميز الصحاري الحارة مع قلة المطر وجفاف الهواء وحرارة الشمس اللافحة التي لا يخفف من حدتها هبوب رياح الشمال على ارتفاع نسبة البحر، وتمضي الظروف لتسود على مدار السنة فصلاً بعد أخر مع تغيير طفيف، بل عاماً بعد أخر لفترة طويلة من الزمن [(43)].

وفضلاً عن ذلك فإن لهذه المنطقة الليبية خصائص أخرى تميزها عن جيرانها في نفس المنطقة و اقصد توفر المياه، أنواع النبات والحيوان، وجيولوجية الأرض والتضاريس مما يجعل سكان هذه الواحات عرضة لأنواع معينة من الأمراض تحمل خصائص الأمراض المتوطنة[(44)]، ونظراً لبعد المسافة فإن الأمراض الفتاكة مثل مرض الطاعون، التي اعتادت أن تعصف بالمدن الساحلية وخصوصاً المطلة على البحر الأبيض المتوسط، إلا أن الواحات كانت سليمة ولم يصبها الضرر ،لأن المسافة بين المدن والواحات تؤدي غرض مدة " الحجر الصحي "والكرتنه" فقد كانت القافلة تقضي عدة أشهر حتى تصل إلى مرزق أو غات أو الكفرة" وفي هذه الفترة تموت كل الجراثيم التي تلوث اللباس أو الغذاء كما لا يستطيع المصاب بأحد الأوبئة المقاومة طيلة هذه المدة[(45)].

فالمناخ هو المحصلة العامة لمتوسطات أحوال عناصره من حرارة ورطوبة ورياح والضغط الجوي، قد ساهم في انتشار الأمراض، لان بعض الأمراض تجد المناخ المناسب لها دون غيرها، فالمناطق الحارة مثلاً تعد من أكثر المناطق عرضة لنمو الجراثيم وتوالد الحشرات التي تنقل عدوى المرض، فهناك علاقة وثيقة بين العناصر المكونة للمناخ وبين صحة الإنسان، فكلما كان المناخ قاري كلما زادت الأمراض وانتشرت الإصابة [(46)].

وبذلك يتميز مناخ الواحات بصفات وخصائص المناخ الصحراوي الجاف شديد الحرارة في الصيف ودافئ شتاءاً، وبعد الإشارة إلى المناخ أود أن أعرج على ظاهرة مميزة في الواحات وهي وجود مجموعة من البحيرات والسباخ، التي تلعب دوراً مهماً من حيث الصحة والمرض لسكان تلك الواحات.

فالبحيرات التي بها مياه حلوة فهي تشكل خطراً كبيراً على صحة السكان حيث أنها موطن لتوالد "البعوض" وكذلك توطن "القواقع الازمة لدورة حياة البلهارسيا [(47)]، أما فيما يخص السبخات والمستنقعات الملحية

(43) جمال الدين الناصوري: جغرافية فزان، دراسة في الجغرافية المنهجية والإقليمية، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1967م، ص- ص129- 130.

(44) عبد الكريم أبو شويرب: أعلام ومعالم من تاريخ الطب في ليبيا، مطبعة الوحدة العربية الزاوية، 2005م، ص202.

(45) الصديق محمد العاقل: الأوضاع الجغرافية وأثرها على الوضع الصحي في ليبيا، ضمن أعمال الندوة العلمية التاسعة التي عقدت بمدينة المرج، مرجع سابق، 2009م، ص36.

(46) المرجع نفسه، ص203.

(47) هلموت كانتر: مصدر سابق، ص72.

فهي منتشرة بصورة أوسع من البحيرات في الجنوب وبعض المناطق الأخرى. وتعتبر هي الأخرى موطن لتوالد وتكاثر البعوض [48]. أما بخصوص نقص مياه الشرب فهي عنصر ضروري للحياة، فلا غنى للإنسان أو الحيوان أو النبات عنه، فالمياه التي يشربها الإنسان لابد أن تكون صالحة للشرب وصحية لأن لها تأثيراً مباشراً على الجسم.

فالمياه تعد مصدر للأوبئة إذا لم تتوفر فيها شروط النظافة البيئية، فالعديد من الأمراض مثل مرض البلهارسيا والكوليرا ترتبط بالمياه، ولا يمكن مكافحتها دون مراقبة المياه العذبة والتأكد من خلوها من المرض، فمياه فزان أغلبها من النوع المتوسط الجودة، على الرغم من أن ملوحتها بدأت تزداد نتيجة زيادة الاستهلاك[49]، أما حالات الجفاف التي تتعرض لها البلاد في بعض السنوات نتيجة لعدم سقوط الأمطار وعدم توفر مصادر طبيعية كافية للمياه، تتعرض للأمراض الفتاكة التي تحصد الأرواح، وتهلك الزرع والضرع فتفتك بالنبات والحيوان والإنسان على حد سواء، وخاصة عندما تتعدد سنوات الجفاف وتتوالى أكثر من سنة فيواجه السكان بسبب ذلك الفاقة والمجاعة، وبالتالي الهلاك والموت، وتتراوح شدة الجذب من سنة إلى أخرى[50].

- **الطب الشعبي وطرق العلاج:**

لم تشهد البلاد في أثناء المرحلة الأولى للعهد العثماني الثاني (1835 _ 1911م) تغيراً ملموساً في الوضع الصحي، من أذى الأمراض، وافتقار البلاد لأدنى الشروط الصحية، سواءً في نقص وندرة الأطباء والدواء، إذ لم يهتم العثمانيون بالصحة العامة إلا في أواخر حكمهم، وظل الطب الشعبي هو الطب المتداول بين البشر في كافة أنحاء المعمورة طوال الألاف السنوات، ولم يظهر الطب العصري إلا في بداية القرن المنصرم.

أما في الدواخل فإن العثمانيين، قد تركوا أهلها يداوون مرضاهم بما تعلموه من التجارب، أو بما توارثوه من مئات السنين من طب وعلاج، واستمروا طيلة ذلك العصر يعالجون مرضاهم عند العطارين وأدعياء الطب، وتمائم وأحجية الفقيه، فأنحصر دواؤهم في العشبة والفقه.

وإذا كان لجوء المرضى إلى العطارين أمراً غير مستغرب على اعتبار أن العطارين تربطهم علاقة وثيقة بالأعشاب والنباتات التي تشكل المصدر الأساسي للأدوية في مختلف العصور والأزمان [51].

لقد أدى الطب الشعبي والدواء العربي الذي اعتمد على معلومات طبية شعبية قديمة دوراً مهماً في علاج الكثير من الأمراض والتخفيف من الآلام ما كان يصيب الأهالي من حالات مرضية، وقد استطاع الطب الشعبي أن يقدم الكثير من الطرق في علاجه للعديد من الحالات لعل من أهمها (الكي) الذي كان يلجأ إليه الناس إلى

(48) عبدالكريم عمر أبو شويرب: أعلام ومعالم من تاريخ الطب في ليبيا، مرجع سابق، ص205.

(49) قاسم الجميلي: صفحات من تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص22.

(50) مفتاح عبد العزيز إدريس: تدهور الحالة الصحية في ليبيا أثناء الحكم العثماني الأسباب والنتائج، أعمال الندوة العلمية التاسعة التي عقدت بمدينة المرج، مرجع سابق، ص215. انظر، منصور علي الشريف: الخوف والجوع والمقابر في مدينة طرابلس، اللجنة الشعبية العامة للإعلام والثقافة، طرابلس، 2008م، ص- ص87- 88.

(51) تيسير بن موسى: المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، مرجع سابق، ص265، انظر، علي محمد إبراهيم أبو راس: نظرات في الطب الشعبي، أعمال الندوة العلمية التاسعة المرج، مرجع سابق، ص- ص205- 206.

العلاج به، لتداوي العديد من الأمراض التي يعانون منها، وهذا ما تقتضيه البيئة والعادات وخاصة سكان البوادي والواحات[52]، ويذكر أن الليبيين كانوا يفضلون هذا النوع من العلاج، لأسباب عديدة، عدم توفر الطب والأطباء الغربيين في هذه المناطق لبعدها عن المن، واقتناعهم بأن (الكي) هو أحسن دواء لأنه سهل الإجراء وقليل التكاليف وموجود في كل مكان. ويمكننا أن نضيف إلى العلاج بالكي أنواعاً أخرى من العلاجات الشعبية التي كان يستخدم فيها الطب العربي مثل الحجامة، وجبر الكسور، وعلاج الرمد، وبعض العلاجات الأخرى، ففي هذه الحالات الطب الشعبي يؤدي خدماته تجاهها بنجاح[53]، وسوف نستعرض طرق العلاج.

أولاً: العلاج بالكي:

كثيراً ما يلجأ العرب إلى العلاج بالكي بالنار لتداوي العديد من الأمراض والعلل التي يعانون منها، وهذا ما تقتضيه البيئة والعادات، التراث الشعبي وكذلك بيئة الإنسان وتركيبته خاصة سكان البادية والواحات بعيداً عن أماكن توفر الأدوية، وكان العرب يفضلون العلاج بالكي لأسباب عديدة منها:

1. عدم توفر الطب والأطباء.
2. حرارة الجو وقساوة البيئة تجعل أجسامهم قوية لا تتأثر بالآلام النار.
3. الاقتناع السائد بين العرب ان الكي هو أحسن دواء وقليل التكاليف [54].

وكذلك للتخلص من الأمراض وخاصة أمراض الأورام الخبيثة والنزف الشديد وغيرها، وهذا النوع من المعالجة رغم قسوته، كان فعالاً في القضاء على مجموعة من الأمراض الخبيثة التي تعالج الآن إما بالاستئصال أو الكي الكهربائي، وقد لجأ الليبيون إلى علاج الكي في أمراض الرأس والعيون وبعض أمراض الصدر والظهر وتضخم الكبد والطحال فيتم العلاج بالكي أو عن طريق وضع نوع من السلك داخل الجلد، وهو ما يعرف بالخرت(*)[55].

في الوقت الذي وجدت فيه العديد من الأمراض التي تعتبر أمراضاً غير قابلة للشفاء بالطب العربي فهي تعالج بواسطة الكي والطب العربي ويشفى منها المريض تماماً. وهذا ليس لأن الأطباء العرب قد استعملوا معجزة أو تعويذة أو علماً جديداً، ولكن هذا قد حدث لان الأطباء العرب قد عرفوا الأمراض التي يجري فيها مثل هذا العلاج [56] وكان من يقوم بهذا العلاج الشعبي نوعان من المتطببين العرب.

(52) سعاد أبو العيد عطيوة: من ملامح الثقافة الشعبية، الطب الشعبي، أعمال الندوة العلمية التاسعة المرج، مرجع سابق، ص46.

(53) المرجع نفسه، ص47.

(54) عبدالحكيم حكمت: الطب الشعبي في ليبيا، صورة للطب والأطباء في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ترجمة عبدالكريم أبو شويرب، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، د. ت.، ص76.

(*) تعني كلمة Seton الطريقة الشعبية للعلاج بالخرت، وهي ببساطة خرز خيط أو سلك أو شعرة في الجلد عن طريق إبرة أو سلك من المعدن ويترك في الجلد فترة من الوقت قد تصل إلى عدة أيام ويقوم الشخص المعالج أو المريض بتحريك الخيط بين الفنية والأخرى حتى يخرج الصديد ومن ثم تتحسن حالة المريض حسب اعتقاد الطب الشعبي، انظر، جوستاف ناختيجال: مصدر سابق، ص271.

(55) جوستاف ناختيجال: مصدر سابق، ص271، انظر: تيسير موسى: المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني الثاني، مرجع سابق، ص266.

(56) عبدالحكيم حكمت: الطب الشعبي في ليبيا، صورة للطب والأطباء في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص- ص77- 81.

النوع الأول: ممن اشتهر بممارسة الطب والحكمة، كما يقوم ببعض العمليات الجراحية والطرق الأخرى من التداوي بالنباتات والأعشاب الطبية، وهؤلاء قد ورثوا المهنة أباً عن جد ويعلمونها لأولادهم، وقد وجد في كل منطقة على الأقل واحد من هؤلاء، فعندما يتعرض أحد لمرض فإن أهله سرعان ما يستدعون هذا الحكيم وأحياناً ينقلون له المريض.

النوع الثاني: فهم من عامة الناس ممن ليس لهم خبرة أو دراية بهذا الطب، وفي حالة غياب الحكماء المذكورين، فإن هؤلاء قد يستعملون الكي في غير الأمراض اللازم له، وغير المواضع على الجسم. وأكثر الأمراض التي يعالجونها هؤلاء هي الأمراض التي تنشأ عنها الآلام مبرحة، حيث يستعملون الكي كمسكن للآلام [57].

ويعرف كل العرب أن الكي يسكن الآلام، حتى الأطفال يدركون هذه الحقيقة.

ثانياً: العلاج بالحجامة:

وهو النوع الثاني من العلاجات القديمة والمتعارف عليها لدى عامة الناس في الطب الشعبي، حيث كان الأهالي يلجأون إليه في حالة وجع الرأس وزغل العينين والدوخة والشعور بالوهن في الذراعين والرجلين وآلام الصدر والسعال الجاف، وتتم بواسطة استخراج جزء من دم المريض خاصة من الجزء المصاب، ويلجأ إليه المريض في حالات ارتفاع ضغط الدم المسبب للصداع والدوران [58]. وأكثر الجهات على الجسم التي تجرى عليها الحجامة هي الرأس والظهر وأحياناً على العضد والساعد.

العلاجات الجراحية:

لكل قبيلة من قبائل الصحراء كما أن لكل واحة من واحاتها طبيب محلي أو عدة أطباء

عرفوا بمزاولة المهنة وربما توارثوا هذه الصنعة أباً عن جد بما فيها من أسرار وخبرة وأدوات خاصة [59]. ونظرية الطب العربي تقول إن المرض ينشأ من تبدل في طبائع أعضاء جسم المريض وبناء عليه يعالج بما يناسبه.

وهذا هو المبدأ الذي نشأ عليه الطب العربي وتطور وبني عليه طرق التداوي والعلاج، ويختلف في ذلك عن الطب الأوربي ونظريته وطرق علاجه ورغم وجود بعض التشابه أحياناً في المداخلات الجراحية بين الطب العربي والطب الغربي إلا أن طرق المداوة تختلف تماماً وقد تتعارض [60].

وكان من بين أهم وسائل الطب الشعبي في العلاج، رد الخلع وشد الكسور وتجبيرها والقروح والخرجات، وغيرها من المداخلات الجراحية.

(57) المصدر نفسه، ص83.

(58) آمال محمد المحجوب: الأوبئة والمجاعات في ولاية طرابلس الغرب (1835– 1911م)، مرجع سابق، ص93، انظر: تيسير بن موسى: مرجع سابق، ص267.

(59) عبدالكريم عمر أبو شويرب: أعلام ومعالم من تاريخ الطب في ليبيا، مرجع سابق، ص213.

(60) عبدالحكيم حكمت: الطب الشعبي في ليبيا، صورة للطب والأطباء في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص104.

أهم طرق المعالجة الشعبية:

1- علاج الجروح:

لقد عرف أهل فزان في علاجاتهم للجروح والرضوض المختلفة التي يتعرض إليها جسم الإنسان من جراء وقوعه من مكان مرتفع أو غيره. في هذه الحالة يتم علاجه بتنظيف الجرح

تنظيفاً جيداً بالمادة المستخلصة من طبخ سنط القرض (*) أو ماء الشب، أو عن طريق تغطيتها بقليل من الزبدة المملحة، أو بقطعة من جلد شاة حديثة الذبح، ويغطى المريض به وفوقه يغطى بأغطية حيث يبدأ يتصبب عرقاً، وبعد ذلك تبرأ الرضوض ويشفى المريض تماماً[61].

2- العظام المكسورة (التجبير):

الإنسان دائماً معرض للكسر وبخاصة سكان البادية الذين يمتهنون حرفتي الزراعة والرعي، فهم معرضين أكثر من غيرهم. والكسر يعالج بالتجبير وهو شبيه إلى حد كبير بعملية تجبيس العظام التي تجرى في الطب الحديث، ولأجل ذلك يجهز الطبيب العربي قطع من الخشب حسب مكان وقوع الكسر، وتربط قطع الخشب على مكان الكسر بواسطة قطع القماش أو جلد شاة طرى، حيث لهذا الجلد خاصة التقلص تدريجياً وبضغط على طرفي الكسر ويساعد على الالتحام، مع إضافة قطع من جريد النخل إلى الجبيرة، وتترك الجبيرة، حسب عمر الإنسان المكسور، مع تثبيت العضو المصاب وعدم حركته.

وفي معظم الأحوال فإن الكسور تلتئم ويشفى الجرح، ولكن مع بعض الحالات تلتئم العظام بشكل معوج، لأن بعض المتطببين العرب لا يعرفون الوضعية التشريحية للعظام واتجاهات حركتها، ويعطى للمريض عصيدة القصب ولحم أفراخ الدجاج [62].

3- العظام المخلوعة:

الخلع هو خروج المفصل من مكانه ويصحبه ألم شديد وصعوبة في الحركة، وفي هذه الحالة لابد أن يرجع المفصل إلى مكانه، ويتم ربطه بقطعة جلد شاة طري (أي ذبحت حديثاً) ويترك إلى أن يجف وينكمش الجلد، وفي هذه الحالة يمنع المريض من تحريك الطرف أو المفصل المخلوع إلى أن يتم رجوعه إلى مكانه مع مراعاة عدم وجود كسور بالضلوع، قبل عملية الربط حتى تتم العملية بنجاح [63].

(*) سنط القرض: هو نوع من النباتات الشجرية ذات الطعم المر والأوراق الخضراء، تنمو عادةً في المناطق ذات الأجواء الرطبة في منطقة شرق إفريقيا، وله أسماءٌ عديدة حسب أماكن زراعته مثل شجرة السنط والميموزا والطلح في دول الخليج العربي والمغرب العربي، كما يسمى أم غيلان والأكاسيا في دول أخرى، ويستخرج الصمغ العربي من نبات القرض، كما يستخدم في دباغة الجلود ومواد التجميل وكغذاء للحيوانات وفي صناعة الألوان، كما يفيد في علاج الكثير من الأمراض الصعبة والمستعصية، انظر موقع موضوع أكبر موقع عربي بالعالم بواسطة إيناس ملكاوي، مايو 2015.

(61) جوستاف ناختيجال: مصدر سابق، ص285، انظر، عبدالحكيم حكمت: مصدر سابق، ص110.

(62) جوستاف ناختيجال: مصدر سابق، ص285، انظر، عبدالحكيم حكمت: مصدر سابق، ص- ص106- 107، انظر، تيسير بن موسى: مرجع سابق، ص266، انظر، محمد سعيد القشاط، مرجع سابق، ص129.

(63) عبدالحكيم حكمت: مرجع سابق، ص106.

- **القناة المعوية:**

ويسمى العرب كل هذه الأمراض (وجع المعدة) أو "الحزام" وعلاجه المسهل والدواء المقيئ العلاج المفصل للنزلة المعوية البسيطة، أو يعطى للمريض ثوم وزبدة على التعاقب وبكميات صغيرة، وفي حالة النزلة المعوية مع الإسهال كنتيجة لاتخام المعدة بأطعمة غنية بالنيتروجين، الشمرة مع التمور والزبدة، يعطى اللبن الحامض الخفيف مع الصمغ، أو بالكي على المكان المؤلم فيسكن الألم وتحسن حالة المريض وتسترجع صحته .(64)

- **التهاب الرحم:**

يعرف بأمراض النساء، ويسبب في اضطرابات العادة الشهرية و الإجهاض وسرطان الرحم ونزيف الرحم وما شابهها، إلا أن هذه الأمراض نادرة الحدوث، وفي حالة تأخير العادة الشهرية عن المرأة يعطى لها ولمدة ثلاثة أيام معجون جذور الفوة(*) مع دقيق الشعير والزبدة والسكر، وبعد اسهال حاد، يحدث في الغالب النزف المطلوب، وإذ كان شديد يحتمل لمدة أسبوع، ثم يعالج بسكب خلاصة نقع أوراق التين، كما أن لورد اريجا كميشة النبي وشجرة الرياح(*) أيضاً شهرة في بدء الطمث، وتعتبر أوراق التين الوصفة الرئيسية ضد نزيف الرحم, ويعزز مفعولها بغسيل خارجي، يزرق الحمام والماء، وفي حالة توقف الحيض يستعمل مسحوق براعم الرمان المجففة كحساء(65).

- **الحروق:**

يتعرض لها الصغار أكثر من الكبار إلا في بعض الحالات وكان العلاج الشعبي والمتعارف عليه والأكثر شيوعاً هو استخلاص الجزء الأصفر من بيض الدجاج وغليه على نار هادية حتى يصير مثل الزيت، ويبرد ويدهن به أماكن الحروق وتستمر هذه العملية حتى يشفى المريض (66).

وهكذا نرى بصورة عامة أن هناك بعض الطرق العلاجية التي يطبقها الأطباء العرب (الطب الشعبي) بعضها مقبول منطقي ويؤدي إلى نتائج جيدة، وبعضها غير مفيد للمريض، وما

يزال العديد من طرق العلاج التي لم يتسع المجال لذكرها.

- أما التداوي بالأعشاب البرية واستعمال النباتات الطبية في علاج العديد من الأمراض كان يتم من خلال وصفات يعدها بعض الأشخاص ممن مارسوا مهنة إعداد العقاقير وتحضير أنواع من العصارات والأشربة التي

(64) جوستاف ناختيجال: مصدر سابق، ص- ص274- 275 ، انظر، عبدالحكيم حكمت: مصدر سابق، ص92.

(*) الفوة، Rubia tinctorum: وهي النبات المعروف شعبياً بالروبية، انظر، جوستاف ناختيجال: مصدر سابق، ص280.

(*) يعرف هذا النبات في جنوب البلاد باسم كميشة النبى وزهرة أريحيا، وفي الشرق باسم كف مريم أو كف عائشة أو شجرة الكف، وهو نبات صغير بري من الصليبيات ومتى تم نموه وجف تقتلعه الريح وتذهب به حتى إذا صادف مكاناً رطباً عاد إلى النمو، انظر، جوستاف ناختيجال: مصدر سابق، ص280.

(65) المصدر نفسه، ص- ص280- 281.

(66) علاج الطب الشعبي المتعارف عليه محلياً، الباحث.

يطلب من المريض تناولها، فقد كان هؤلاء يحضرون المواد التي تخلط ببعضها وتعطى مباشرة للمريض، أو يعطى ماؤها بعد غليها، وكانوا يجدون لكل نوع من الأمراض ما يناسبه منها [67].

ونظراً لما تتمتع به البلاد من اتساع في الرقعة الجغرافية وتنوع تضاريسها واعتدال مناخها، انعكس كل ذلك على نباتاتها الطبيعية ذات الخصائص الطبية والتي يجمع المختصون على قدرتها في علاج الكثير من الأمراض.

ولعل أهم هذه النباتات ذات الاستعمالات الدوائية الشعبية، هي الروبية، الحنظل، الشيح، الحلتيت، الزعتر، الزعفران، ...إلخ.

وإلى جانب الاستخدامات الطبية لأنواع عديدة من الحيوانات أو أجزاء منها فأنهم يتداوون بلحم ودم بعض الحيوانات والحشرات البرية، كالقنفذ، الورل، الضب، السلحفاة، الغزال، وكذلك الديدان والطحالب [68].

وفيما يلي قائمة بأسماء الأدوية النباتية التي تعطى مباشرة للمريض أو يعطي ماؤها بعد غليها وهي:

- **الحنظل:**

شائع الاستعمال كنبات طبي، ويستعمل خارجياً لقطع النزيف وداخلياً كمسهل ومهبط للحمى والحرارة، وكذلك ضد آلام الأعصاب كعرق النساء مثلاً، ولكل استعمال له مقدار معين وهو أخذ مقدار قلم واحد من ليمونة الحنظل يومياً حت يتم المريض اثنين أو ثلاثة من ليمونات من ثمار الحنظل وقد اعتاد بعض الناس على أكله حتى أصبح يتناولونه كالبرتقال العادي [69].

- **البصل:**

يخلط عصير البصل مع عصير الليمون، ويعطي بمقدار ملعقة في حالات القيء

فتتحسن حالة المريض، ويستعمل داخلياً لفتح أورام البواسير، وتعود به العادة الشهرية المنقطعة عن النساء، ومطهر للجروح، وتنقع قشوره المشوية على النار في زيت الزيتون وتستعمل كمرهم لعلاج العيون، وفي الخرجات الجلدية والدمامل [70].

- **الزعتر:**

تستعمل أوراقه داخلياً لطرد الديدان وحريره كمسهل، ويؤخذ مقدار درهمين من نبات حرير الزعتر ويخلط مع ماء اليوغرت ويشربه المريض وبعد فترة قصيرة من الزمن تتحرك بطن المريض وتتخلص من جميع المواد العالقة بها، ويعطى أيضاً للأطفال المصابين بالسعال والسعال الديكي على وجه الخصوص [71].

(67) سعاد أبو العيد عطيوة: من ملامح الثقافة الشعبية، الطب الشعبي، أعمال الندوة العلمية التاسعة المرج، مرجع سابق، ص46.

(68) سعاد أبو العيد عطيوة: مرجع سابق، ص47.

(69) عبد الحكيم حكمت: مرجع سابق، ص- ص112- 113.

(70) عبدالحكيم حكمت: مرجع سابق، ص- ص116- 117.

(71) المصدر نفسه، ص- ص113- 114. انظر، تيسير بن موسى: مرجع سابق، ص268.

- **الزعفران:**

يستعمل داخلياً كمقو للباءة، ويعمل منه مرهم يحلل الأورام والدمامل، ويعمل منه سفوف نافعة في أوجاع الدماغ، كما أنه يعيد الطمث المتقطع لدى النساء [72].

- **زيت الزيتون:**

لا يخلو منه منزل ويستعمل في أغراض طبية عديدة، وملين للمعدة، ومرطب لبشرة الجلد، ومغذي لها، ويحافظ على البشرة وسكان المناطق الحارة يقومون بدهن جلودهم يومياً بزيت الزيتون مما يزيد مقاومتها لعوامل الجو القاسية، وفعال ضد لسعات الحشرات [73].

- **القرنفل:**

يعمل منه سفوف ومسحوق يستعمل في حالات عتامة قرنية العين وفي إيقاف القيء والغثيان، ويسحن منه مقدار معين على حجر مع الماء ويضاف إليه شيء من الحليب ويعطى شراباً للأطفال لتسكين الآلام البطن وحالات القيء [74].

- **الثوم:**

إذا استعمل الثوم بكثرة بسبب فقدان الشهية، ويستعمل خارجياً ضد لسع الحشرات، ولدغ العقارب، وفي حالات كي الجلد في بعض الأمراض يخلط رماد الثوم مع العسل والمرهم المتكون يستعمل لعلاج الأمراض الجلدية مثل البرص والبهق وغيرهما [75].

- **العسل:**

من أكثر الأدوية التي تستعمل في المنزل العربي وله استعمالات عديدة وله مفعول كالسحر في شفاء الأمراض المستعصية ومنشط لجميع أعضاء الجسم، ومقو للمعدة ويساعد على الهضم، ومضاد للسموم والمواد الضارة التي يتناولها الإنسان، ويساعد على التئام الجروح ومطهر لها [76].

- **عاقر قرحا:**

والاسم الشعبي المعروف به هو عود اللحم، ومطبوخ هذا النبات يسكن أوجاع الإنسان، وجذوره تستعمل للإنسان المتخلخلة فيثبتها ويقوي جذورها، أما إذا وضعت منه قطعة صغيرة على السن المؤلمة نفسها فإنه يوقف الألم في الحال [77].

(72) عبدالحكيم حكمت: مصدر سابق، ص131.
(73) المصدر نفسه، ص122.
(74) المصدر نفسه، ص119.
(75) عبدالحكيم حكمت: مصدر سابق، ص117.
(76) المصدر نفسه، ص139.
(77) المصدر نفسه، ص- ص131- 132.

وعدا ما سبق فيوجد العديد من النباتات والأعشاب الطبية المألوفة والتي تستعمل في كل منزل وأثارها واستعمالاتها شائعة ومثال ذلك الحلبة، الخروع، الحلتيت، الروبية، الحرمل، الإكليل، الحناء، الكروية، الفلية والتي لا يتسع المجال لذكرها الآن.

أما فيما يتعلق بالإجراءات الصحية التي نفذها العثمانيون في البلاد، ظلت البلاد تحت رحمة سيف هذه الأمراض الفتاكة دون أن يحرك العثمانيون ساكناً، نحو مكافحتها والتقليل من انتشارها. وشكلت صورة محزنة بسبب ما عاناه الليبيون من أذى الأمراض وعدم اهتمام المسؤولين الأتراك بالمرافق الطبية والصحية، وظل الليبيون طيلة ذلك العصر يعالجون أمراضهم عند العطارين وأدعياء الطب، وتمائم وأحجية الفقه وزيارة الأضرحة، ولم يتحرك الأتراك نحو الاهتمام بالصحة العامة إلا في أواخر حكمهم واقتصر على المدن الكبرى لطرابلس وبنغازي والخمس التي شهدت عدد قليل من المستشفيات والمستوصفات تقدم بعض الإجراءات الوقائية كالتلقيح والحجر الصحي، بينما تواصلت سياسة اللامبالاة في الأمور الصحية في كافة مناطق البلاد الأخرى، تاركين الناس فيها يداوون مرضاهم بما تعلموه أو توارثوه عن الأجداد من طب وعلاج [78].

الخاتمة

1. ما قدمه جوستاف ناختيجال من حصر للأمراض لكونه طبيباً قائم على أساس المعالجات التي قام بها ومشاهداته وكان دقيقاً في استفساراته، وماهي السوائل التي كان يتبعها سكان الدواخل الليبية في مجابهة المرض، وخاصة أن المعارف الطبية الحديثة لم تكن قد انتشرت بعد.
2. أن فترات الجفاف والجدب تعقبها مجاعات وارتفاع في اسعار السلع تكون سبباً في هجرة كثير من السكان إلى المناطق المجاورة، والجذب يكون سبباً في انتشار الأمراض والأوبئة الفتاكة التي تؤدي إلى وفاة كثير منهم على مختلف أعمارهم.
3. غياب الوعي الصحي والجهل والفقر السائد بين السكان وركونهم للقضاء والقدر جعلهم يؤمنون بالخرافات والشعوذة، ومعالجة أمراضهم بالتعاويذ والأحجبة وزيارة الأضرحة، وعدم مقاومتهم للأمراض، مما زاد من سرعة انتشارها والفتك بأرواحهم.
4. لقد ادى الطب الشعبي والدواء العربي دورا مهما في علاج الكثير من الأمراض والتخفيف من الآلام العديد من الحالات لعل الكي من أهمها وأن الليبيين كانوا يفضلون هذا النوع من العلاج واقتناعهم بأن الكي هو أحسن دواء لأنه سهل الإجراء وقليل التكاليف، ويمكننا أن نضيف للكي علاجات أخرى من العلاجات الشعبية مثل الحجامة، الخرت، جبر الكسور، علاج الفتق، الصداع، الرمد...إلخ. ففي هذه الحالات الطب الشعبي يؤدي خدماته بنجاح.
5. إن التداوي بالأعشاب البرية واستعمال النباتات الطبية في علاج العديد من الأمراض كان يتم من خلال وصفات يعدها بعض الأشخاص ممن مارسوا مهنة إعداد العقاقير وتحضير أنواع من العصارات والأشربة التي يطلب من المريض تناولها، فقد كان هؤلاء يحضرون المواد التي تخلط ببعضها وتعطى مباشرة للمريض أو يعطى ماؤها بعد غليها، وكانوا يجدون لكل نوع من أنواع الأمراض ما يناسبه منها.

(78) تيسير بن موسى: مرجع سابق، ص265.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

1. القرآن الكريم.

2. كتب الرحالة:

1. اتيليو موري: الرحلة والكشف الجغرافي في ليبيا منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى الاحتلال الإيطالي، تعريب خليفة محمد التليسي، دار الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1971م.
2. جوستاف ناختنجال: الصحراء وبلاد السودان، المجلد الأول، الكتاب الأول، طرابلس وفزان، ترجمة الأصل الألماني إلى الإنجليزية، فيشر وهمقري فيشر، ترجمة الإنجليزية عبد القادر الميحشي، مراجعة، عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبية للدراسات التاريخية، طرابلس، 2007م.
3. غيرهارد رولفس: رحلة إلى الكفرة، ترجمة عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2000م.
4. غيرهارد رولفس: رحلة عبر أفريقيا مشاهدات الرحالة الألماني رولفس في ليبيا وبرنو وغينيا(1865-1867م) ترجمة عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1996م.
5. الطبيب الألماني أرفين فون باري (1846- 1877م) ورحلته إلى غات وبلاد الآبير، ترجمة عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1995م.
6. هلموت كانتر: ليبيا دراسة في الجغرافيا الطبيعية، ترجمة عبد القادر مصطفى المحيشي، مراجعة الزروق مصباح السنوسي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2002م.
7. عبدالحكيم حكمت: الطب الشعبي في ليبيا، صورة للطب والأطباء في النصف الثاني حتى القرن التاسع عشر، ترجمة وتحقيق عبدالكريم أبو شويرب، مركز جهاد الليبيين ضد

الغزو الإيطالي، طرابلس، 1989م.

8. صادق مؤيد العظم: رحلة في الصحراء الكبرى بأفريقيا، ترجمة عبدالكريم أبو شويرب، مراجعة صلاح الدين حسن السوري، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1989م.
9. جيمس هاملتون: جولات في شمال أفريقيا، تعريب، المبروك محمد الصويعي، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، طرابلس ليبيا، د. ب.
10. جون فرنسيس ليون: من طرابلس إلى فزان 1818م، تعريب مصطفى جودة، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1976م.

ثانياً: المراجع:

الكتب:

1. رجب نصير الأبيض: طرابلس الغرب في كتابات الرحالة خلال القرن التاسع عشر الميلادي، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2009م.

2. آمال إمحمد الطالب: الحياة الأسرية في ولاية طرابلس الغرب في العهد العثماني الثاني (1835- 1911)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2006م.

3. تيسير بن موسى: المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، 1988م.

4. عماد الدين غانم: المادة المصدرية الألمانية حول الأوضاع الصحية في ليبيا من ق19 حتى النصف الأول من ق19إلى 20، أعمال الندوة العلمية التاسعة التي عقدت في المرج، في الفترة من 30/ 6 إلى 4/ 7/ 2001م، تحرير محمود أحمد الدويك، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2009م، طرابلس.

5. خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، الدار العربية للكتاب، 1997م.

6. قاسم الجميلي: صفحات من تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ومركز بحوث النفط، طرابلس، 2003م.

7. آمال محمد المحجوب: الأوبئة والأمراض والمجاعات في ولاية طرابلس الغرب (1935- 1911م)، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2006م.

8. محمد عمر مروان: الأوضاع الصحية و الإجراءات الوقائية خلال العهد العثماني الثاني، أعمال الندوة العلمية التاسعة المرج، في الفترة 30/ 6 إلى 4/ 7/ 2001م، تحرير محمود أحمد الديك، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2009م.

9. عبدالكريم أبو شويرب: أعلام ومعالم من تاريخ الطب في ليبيا، مطابع الوحدة العربية الزاوية، 2005م.

10. علي محمد إبراهيم أبو رأس: نظرات في الطب الشعبي، الأوضاع الصحية في ليبيا (1835- 1950م) أعمال الندوة العلمية التاسعة المرج في الفترة 30/ 6 إلى 4/ 7/ 2001م، تحرير محمود أحمد الديك، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس، 2009م.

11. جمال الدين الناصوري: جغرافية فزان، دراسة في الجغرافية المنهجية والإقليمية، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1967م.

12. الصديق محمد العاقل: الأوضاع الجغرافية وأثرها على الوضع الصحي في ليبيا، ضمن أعمال الندوة العلمية التاسعة التي عقدت بمدينة المرج، في الفترة 30/ 6 إلى 4/ 7/ 2001م، تحرير محمود أحمد الديك، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2009م.

13. مفتاح عبد العزيز إدريس: تدهور الحالة الصحية في ليبيا أثناء الحكم العثماني الأسباب والنتائج، أعمال الندوة العلمية التاسعة التي عقدت بمدينة المرج في الفترة ما بين 30/ 6 إلى 4/ 7/ 2001م، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2009م.

14. منصور علي الشريف: الخوف والجوع والمقابر في مدينة طرابلس، اللجنة الشعبية العامة للإعلام والثقافة، طرابلس، 2008م.

15. سعاد أبو العيد اعطيوة: من ملامح الثقافة الشعبية، الطب الشعبي، أعمال الندوة العلمية التاسعة المرج، 30/ 6 إلى 4/ 7/ 2001م، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2009م.

16. محمد سعيد القشاط: التراث الشعبي العربي الليبي، منشورات اللجنة الشعبية العامة للإعلام والثقافة، طرابلس، 2006م.

ثالثاً: الرسائل العلمية:

1. فتحية محمد الوداني: الأزمات بإيالة طرابلس الغرب في العهد القرمانلي (1711- 1835م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الأكاديمية الليبية، فرع مصراتة، 2017- 2018م.

رابعاً: المجلات:

1. عبدالكريم أبو شويرب: مشاهداتي حول الطب الشعبي في فزان، مجلة البحوث التاريخية، السنة الأولى، العدد الثاني، يوليو 1979م، مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي، طرابلس.

2. الأب آنستاس: داء الخيطيات أو داء الفلاريا، مجلة المعهد الطبي العربي، دمشق، عدد شهر أكتوبر، 1926م.

خامساً: شبكة المعلومات الدولية:

1. هناء حسن، موقع موضوع، أبريل 2018م.

2. هناء حسن، موقع موضوع، سبتمبر 2014م.

3. آية تقاطفة، موقع موضوع، مارس 2016م.

4. حمد الطيب النوبي: دراسة تحليلية، يونيو 2012م، معاني أسماء قرى سدارنه، ويكيبيديا الموسوعة الحرة.